٥٩٤

محيي الدين بن زكي الدين

أبو المعالي محمد بن أبي الحسن علي بن محمد [أبي المعالي مجد الدين][1] بن يحيى [أبي الفضل زكي الدين][1] بن علي بن عبد العزيز بن علي بن الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن القاسم بن الوليد بن القاسم بن عبد الرحمن بن أبان بن [أمير المؤمنين][1] عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، القرشي[2] ، الملقب محيي الدين ، المعروف بابن زكي الدين ، الدمشقي الفقيه الشافعي ؛ كان ذا فضائل عديدة من الفقه والأدب وغيرهما ، وله النظم المليح والخطب والرسائل ، وتولى القضاء بدمشق في شهر ربيع الأول، سنة ثمان وثمانين وخمسمائة، يوم الأربعاء العشرين من الشهر المذكور، هكذا وجدته بخط القاضي الفاضل : وكذلك أبوه [زكي الدين][1] وجده [مجد الدين ، وجد أبيه زكي الدين أيضاً وهو أول من ولي من بيتهم][1] وولداه [زكي الدين أبو العباس الطاهر ومحيي الدين][1] كانوا قضاتها . وكانت له عند السلطان صلاح الدين ، رحمه الله تعالى ، المنزلة العالية[3] ، والمكانة المكينة . ولما فتح السلطان المذكور مدينة حلب[4] ، يوم السبت ثامن عشر صفر، سنة تسع وسبعين وخمسمائة ، أنشده القاضي محيي الدين المذكور قصيدة بائية ، أجاد فيها كل الإجادة ، وكان من جملتها بيت هو متداول بين الناس ، وهو :

وفتحك القلعة الشهباء في صفر مبشر بفتوح القدس في رجب

---

٥٩٤ – ترجمته في الوافي ٤ : ١٦٩ وطبقات السبكي ٤ : ٨٩ وعبر الذهبي ٤ : ٢٠٥ والشذرات ٤ : ٣٣٧ ؛ وسقطت الترجمة من ت .

١ ما بين معقفين زيادات من ر والمختار ، ولم يرد في المطبوعة المصرية .

٢ ر : وبقية النسب معروف ؛ الأموي القرشي .

٣ ن : العليا ؛ ر : المكانة المكينة والمنزلة العالية .

٤ قد مر هذا في ترجمة عماد الدين صاحب سنجار ج ٢ : ٣٣١ .

فكان كما قال ، فإن القدس فتحت لثلاث بقين من رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، وقيل لمحيي الدين : من أين لك هذا ؟ فقال : أخذته من تفسير ابن برّجان في قوله تعالى : ﴿ ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين ﴾ (الروم : ١ – ٣) . ولما وقفت أنا على هـذا البيت وهذه الحكاية لم أزل أتطلب تفسير ابن برجان حتى وجدته على هذه الصورة ، لكن كان هذا الفصل مكتوباً في الحاشية بخط غير الأصل[1]، ولا أدري هل كان من أصل الكتاب أم هو ملحق به[2]،وذكر له حساباً طويلاً وطريقاً في استخراج ذلك حتى حرره من قوله ﴿ بضع سنين ﴾ .

ولما ملك السلطان صلاح الدين حلب ، فوّض الحكم والقضاء بها [في ثالث عشر ربيع الآخر من السنة][3] إلى القاضي محيي الدين المذكور ، فاستناب بها زين الدين بنا أبا الفضل بن البانياسي[4] .

ولما فتح السلطان القدس الشريف تطاول إلى الخطابة يوم الجمعة كلُّ واحد من العلماء الذين كانوا في خدمته حاضرين ، وجهز كل واحد منهم خطبة بليغة ، طمعاً في أن يكون هو الذي يعين لذلك ، فخرج المرسوم إلى القاضي محيي الدين أن يخطب هو ، وحضر السلطان وأعيان دولته ، وذلك في أول جمعة صليت بالقدس بعد الفتح ، فلما رقي المنبر استفتح بسورة الفاتحة ، وقرأها إلى آخرها ، ثم قال : ﴿ فقُطِع دابرُ القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ﴾ (الأنعام : ٤٥) ثم قرأ أول سورة الأنعام ﴿ الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ﴾ (الأنعام : ١) ثم قرأ من سورة سبحان ﴿ وقل الحمد لله

---

١ ل لي س بر : بخط الأصل .

٢ بهامش المختار : « قلت ، أعني كاتبها موسى بن أحمـد لطف الله به : وقعت في القاهرة ودمشق على ثلاث نسخ من التفسير المذكور وهذا الفصل المشار إليه لكنه مكتوب على الجميع على الحاشية بعد خط الأصل . وأخبرني الشيخ تقي الدين محمد بن زين الدين الشافعي قاضي القضاة بالديار المصرية رحمه الله تعالى أنه رأى هذا الفصل المعين في نسختين على صورة ما ذكرناه والله أعلم » .

٣ انفردت ر بما بين معقفين .

٤ ل : بنا بن الفضل ؛ س لي : نبا بن الفضل ؛ ابن البانيايسي : سقطت من النسخ ما عدا ر .

الذي لم يتخذ ولداً ﴾ الآية (الاسراء : ١١١) ثم قرأ أول الكهف ﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ﴾ (الكهف : ١) الآيات الثلاث ، ثم قرأ من النمل ﴿ وقل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ﴾ (النمل : ٥٩) الآية ، ثم قرأ من سورة سبأ ﴿ الحمد لله الذي له ما في السموات ﴾ (سبأ : ١) الآية ، ثم قرأ من سورة فاطر ﴿ الحمد لله فاطر السموات والأرض ﴾ (فاطر : ١) الآيات ، وكان قصده أن يذكر جميع تحميدات القرآن الكريم ؛ ثم شرع في الخطبة ، فقال : الحمد لله معزّ الإسلام بنصره ، ومذلّ الشرك بقهره ، ومُصَرِّف الأمور بأمره ، ومديم النعم بشكره ، ومستدرج الكفار[1] بمكره ، الذي قدر الأيام دولاً بعدله ، وجعل العاقبة للمتقين بفضله ، وأفاء على عباده من ظله ، وأظهر دينه على الدين كله ، القاهر فوق عباده فلا يمانع ، والظاهر على خليقته فلا ينازع ، والآمر بما يشاء فلا يراجع ، والحاكم بما يريد فلا يدافع ، أحمده على إظفاره وإظهاره ، وإعزازه لأوليائه ونصره لأنصاره ، وتطهير بيته المقدس من أدناس الشرك وأوضاره ، حَمْدَ من استشعر الحمد باطن سره وظاهر جهاره[2] ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، شهادة من طهر بالتوحيد قلبه ، وأرضى بـه ربه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله رافع الشك ، وداحض[3] الشرك ، وراحض الإفك ، الذي أسرى به من المسجد الحرام إلى هذا المسجد الأقصى ، وعرج به منه إلى السماوات العلا إلى سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى ، ما زاغ البصر وما طغى ، صلى الله عليه وعلى خليفته أبي بكر الصديق السابق إلى الإيمان ، وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول من رفع عن هذا البيت شعار الصلبان ، وعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ذي النورين جامع القرآن ، وعلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مزلزل الشرك ومكسر الأوثان ، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان .

---

١ ر : الكفر .

٢ ن : اجهاره .

٣ كذا في جميع النسخ ؛ وزاد في متن ر : قلت وصوابه : مدحض الشرك لأنه رباعي والثلاثي منه لازم فليس له مفعول .

أيها الناس ، أبشروا برضوان الله الذي هو الغاية القصوى والدرجة العليا لما يسره الله على أيديكم من استرداد هذه الضالة ، من الأمة الضالة ، وردها إلى مقرها من الإسلام ، بعد ابتذالها في أيدي المشركين قريباً من مائة عام ، وتطهير هذا البيت الذي أذن الله أن يرفع ويذكر فيه اسمه ، وإماطة الشرك عن طرقه بعد أن امتد عليها رواقه واستقر فيها رسمه ، ورفع قواعده بالتوحيد ، فإنه بني عليه وشيد بنيانه بالتمجيد[1] ، فإنه أسس على التقوى من خلفه ومن بين يديه ، فهو موطن[2] أبيكم إبراهيم ، ومعراج نبيكم محمد عليه الصلاة والسلام ، وقبلتكم التي كنتم تصلون إليها في ابتداء الإسلام ، وهو مقر الأنبياء ، ومقصد الأولياء ، ومدفن الرسل ومهبط الوحي ، ومنزل به ينزل الأمر والنهي ، وهو في أرض المحشر وصعيد المنشر ، وهو في الأرض المقدسة التي ذكرها الله في كتابه المبين ، وهو المسجد [الأقصى][3] الذي صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالملائكة المقربين ، وهو البلد الذي بعث الله إليه عبده ورسوله وكلمته التي ألقاها إلى مريم ، وروحه عيسى الذي كرّمه برسالته وشرّفه بنبوّته ، ولم يزحزحه عن رتبة عبوديته ، فقال تعالى : ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عَبداً لله ولا الملائكة المقربون ﴾ (النساء : ١٧٢) كذب العادلون بالله وضلوا ضلالاً بعيداً ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ، سبحان الله عما يصفون ﴾ (المؤمنون : ٩١) ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ﴾ (المائدة : ١٧) إلى آخر الآيات من المائدة ، وهو أول القبلتين ، وثاني المسجدين ، وثالث الحرمين ، لا تُشَدّ[4] الرحال بعد المسجدين إلا إليه ، ولا تعقد الخناصر بعد الموطنين إلا عليه ، فلولا أنكم ممن اختاره الله من عباده ، واصطفاه من سكان بلاده ، لما خصكم بهذه الفضيلة التي لا يجاريكم فيها مُجار ، ولا يباريكم في شرفها مُبار ، فطوبى لكم من

---

١ ن : بالتحميد .

٢ ن : موطىء ثرى .

٣ زيادة من ر .

٤ ن : الذي لا تشد .

جيش ظهرت على أيديكم المعجزات النبوية ، والواقعات البدرية ، والعزمات الصديقية ، والفتوحات العُمَرية، والجيوش العثمانية، والفتكات العلوية ، جددتم للإسلام أيام القادسية ، والملاحم اليرموكية ، والمنازلات الخيبرية[1] ، والهجمات الخالدية ، فجزاكم الله عن نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الجزاء ، وشكر لكم ما بذلتموه من مهجكم في مقارعة الأعداء ، وتقبّل منكم ما تقرّبتم به إليه من مُهَراق الدماء ، وأثابكم الجنة فهي دار السعداء ، فاقدروا رحمكم الله هذه النعمة حق قدرها ، وقوموا لله تعالى بواجب شكرها ، فله تعالى المنة عليكم بتخصيصكم بهذه النعمة ، وترشيحكم لهذه الخدمة ، فهذا هو الفتح الذي فتحت له أبواب السماء ، وتبلجت[2] بأنواره وجوه الظلماء ، وابتهج به الملائكة المقربون ، وقَرّ به عيناً الأنبياء والمرسلون ، فماذا[3] عليكم من النعمة بأن جعلكم الجيش الذي يفتح على يديه البيت المقدس في آخر الزمان ، والجند الذي تقوم بسيوفهم بعد فترة من النبوة أعلام الإيمان ، فيوشك أن يفتح الله على أيديكم أمثاله ، وأن تكون التهاني لأهل الخضراء ، أكثر من التهاني لأهل الغبراء ، أليس هو البيت الذي ذكره الله في كتابه ، ونص عليه في محكم خطابه ، فقال تعالى : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ﴾ (الإسراء : ١) أليس هو البيت الذي عظمته الملل ، وأثنت عليه الرسل ، وتليت فيه الكتب الأربعة المنزلة من الله عز وجل ؟ أليس هو البيت الذي أمسك الله تعالى لأجله الشمس على يوشع أن تغرب ، وباعد بين خطواتها ليتيسر فتحه ويقرب ؟ أليس هو البيت الذي أمر الله عز وجل موسى أن يأمر قومه باستنقاذه فلم يجبه إلا رجلان ، وغضب الله عليهم لأجله فألقاهم في التيه عقوبة للعصيان ؟ فاحمدوا الله الذي أمضى عزائمكم لما نكلت عنه بنو إسرائيل ، وقد فضلت على العالمين ، ووفقكم لما خذل فيه أمم كانت قبلكم من الأمم[4] الماضين ، وجمع لأجله كلمتكم

---

١ ن : الحيرية .

٢ ن : وسلخت .

٣ ن : فماذا لله .

٤ ن : من قبلكم من الأمم .

وكانت شتى ، وأغناكم بما أمضته (كان) و (قد) عن (سوف) و (حتى) ، فليهنكم أن الله قد ذكركم به فيمن عنده ، وجعلكم بعد أن كنتم جنوداً لأهويتكم جنده ، وشكر لكم الملائكة المنزلون ، على ما أهديتم لهـــذا البيت من طيب التوحيد ونشر التقديس والتمجيد ، وما أمطتم عن طرقهم فيه من أذى الشرك والتثليث ، والاعتقاد الفاجر الخبيث ؛ فالآن تستغفر لكم أملاك السموات ، وتصلي عليكم الصلوات المباركات ، فاحفظوا رحمكم الله هذه الموهبة فيكم ، واحرسوا هذه النعمة عندكم ، بتقوى الله التي من تمسك بها سلم ، ومن اعتصم بعروتها[1] نجا وعصم ، واحذروا من اتباع الهوى ، ومواقعة الردى ، ورجـــوع القهقرى ، والنكول عن العدا ، وخذوا في انتهاز الفرصة ، وإزالة ما بقي من الغصة ، وجاهدوا في الله حق جهاده ، وبيعوا عباد الله أنفسكم في رضاه إذ جعلكم من خير عباده ، وإياكم أن يستزلّكم الشيطان ، وأن يتداخلكم الطغيـــان ، فيخيل لكم أن هذا النصر بسيوفكم الحداد ، وخيولكم الجياد ، وبجلادكم في مواطن الجلاد ، لا والله ما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم ، فاحذروا عباد الله – بعد أن شرفكم بهذا الفتح الجليـــل ، والمنح الجزيل ، وخصكم بنصره المبين ، وأعلق أيديكم بحبله المتين – أن تقترفوا كبيراً من مناهيه ، وأن تأتوا عظيماً من معاصيه ، فتكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قـوة أنكاثاً ، وكالذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، والجهادَ الجهاد فهو من أفضل عباداتكم ، وأشرف عاداتكم ، انصروا الله ينصركم ، احفظوا الله يحفظكم ، اذكروا الله يذكركم ، اشكروا الله يزدكم ويشكركم ، جدوا في حَسْم الداء ، وقلع شأفة الأعداء ، وطهروا بقية الأرض من هذه الأنجاس التي أغضبت الله ورسوله ، واقطعوا فروع الكفر واجتثوا أصوله ، فقد نادت الأيام يا للثارات[2] الإسلامية والملة المحمدية ، الله أكبر ، فتح الله ونصر ، غلب الله وقهر ، أذل الله مَنْ كفر ، واعلموا رحمكم الله أن هذه فرصة فانتهزوها ، وفريسة فناجزوها ، وغنيمة فحوزوها ، ومهمة فأخرجوا لها همكم وأبرزوها ، وسَيِّروا إليهـــا

---

١ ن : الذي من تمسك به . . . بعروته .

٢ المختار : بالثارات .

سرايا عزماتكم وجهزوها ، فالأمور بأواخرها ، والمكاسب بذخائرهـا ، فقد أظفركم الله بهذا العدو المخذول ، وهم مثلكم أو يزيدون ، فكيف وقد أضحى قبالة الواحد منهم منكم عشرون ، وقد قـــال الله تعالى : ﴿ إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفـاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ﴾ (الأنفال : ٦٥) أعاننا الله وإياكم على اتبـــاع أوامره ، والازدجار بزواجره ، وأيّدنا معاشر المسلمين بنصر من عنده ﴿ إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده ﴾ (آل عمران : ١٦٠) إن أشرف مقال يقال في مقام ، وأنفذ سهـام تمرق عن قسي الكلام ، وأمضى قول تحل به الأفهام ، كلام الواحد الفرد العزيز العلاّم ، قال الله تعالى : ﴿ وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (الأعراف : ٢٩٤) وقرأ أول الحشر ، ثم قال : آمركم وإياي بما أمر الله به من حسن الطاعة فأطيعوه ، وأنهاكم وإياي عما نهاكم عنه من قبح المعصية فلا تعصوه ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين فاستغفروه .

ثم خطب الخطبة الثانية على عادة الخطباء مختصرة ثم دعـــا للإمام الناصر خليفة العصر . ثم قال : اللهم وأدم سلطان عبدك الخاضع لهيبتك ، الشاكر لنعمتك ، المعترف بموهبتك ، سيفك القاطع ، وشهابك اللامع ، والمحـامي عن دينك المدافع ، والذابّ عن حرمك المانع ، السيد الأجل ، الملك الناصر ، جامع كلمة الإيمان ، وقامع عَبَدَة الصلبان ، صلاح الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، مطهر البيت المقدس أبي المظفر يوسف بن أيوب ، محيي دولة أمير المؤمنين ، اللهم عُمّ بدولته البسيطة ، واجعل ملائكتك براياته محيطة ، وأحسن عن الدين الحنيفي جزاءه ، واشكر عن الملة المحمدية عزمه ومضاءه ، اللهم أبق للإسلام مهجته ، ووق للإيمان حوزته ، وانشر في المشارق والمغارب دعوته ، اللهم كما فتحت على يديه البيت المقدس بعد أن ظنت الظنون ، وابتلي المؤمنون ، فافتح على يديه داني الأرض وقاصيها ، وملكه صياصي الكفر ونواصيها ، فلا تلقـاه منهم كتيبة إلا مزقها ، ولا جماعة إلا فرقها ، ولا طائفة بعد طائفة إلا ألحقها

بمن سبقها ، اللهم اشكر عن محمد صلى الله عليه وسلم سَعْيه ، وأنفذ في المشارق والمغارب أمره ونَهْيه ، اللهم وأصلح به أوساط البلاد وأطرافها ، وأرجاء الممالك وأكنافها ، اللهم ذلل به معاطس الكفار ، وأرغم به أنوف الفجّار ، وانشر ذوائب ملكه على الأمصار ، وابثث سرايا جنوده في سبل الأقطار . اللهم ثبّت الملك فيه وفي عقبه إلى يوم الدين ، واحفظه في بنيه وبني أبيه الملوك الميامين[1] ، واشدد عضده ببقائهم ، واقض بإعزاز أوليائه وأوليائهم . اللهم كما أجريت على يده في الإسلام هذه الحسنة التي تبقى على الأيام ، وتتخلد على مر الشهور والأعوام ، فارزقه الملك الأبدي الذي لا يَنْفَدُ في دار اليقين ، وأجب دعاءه في قوله ﴿ رَبِّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديّ ، وأن أعمل صالحاً ترضاه ، وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ﴾ (الأحقاف : ١٥) ثم دعا بما جرت به العادة .

وكانت ولادته سنة خمسين وخمسمائة بدمشق ؛ وتوفي في سابع شعبان سنة ثمان وتسعين وخمسمائة بدمشق ودفن من يومه بسفح جبل قاسيون ، رحمه الله تعالى .

(171) وكان والده أبو الحسن علي الملقب زكي الدين على القضاء بدمشق . وكان كثير الخير والدين ، فاستعفى عن القضاء فأعفي ، فخرج إلى مكة حاجاً ، وعاد إلى بغداد في صفر سنة ثلاث وستين وخمسمائة فأقام بها ، وكان عالي الطبقة في سماع الحديث ، سمع خلقاً كثيراً ، وحدّث ببغداد مدة إقامته ، وسمع عليه الناس ، ولم يزل بها إلى أن توفي يوم الخميس الثامن والعشرين من شوال سنة أربع وستين وخمسمائة ، وصلي عليه بجامع القصر ، ودفن بمقبرة الإمام أحمد بن حنبل ، رضي الله عنهم أجمعين[2] .

(172) وأما ابن بَرَّجانَ المذكور[3] ، فهو : أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن اللخمي ، كان عبداً صالحاً ، وله تفسير القرآن

---

١ ر : والسلاطين .

٢ هنا تنتهي الترجمة في ن س ل لي بر .

٣ ترجمته في التكملة رقم : ١٧٩٧ .

العظيم ، وأكثر كلامه فيه على طريق أرباب الأحوال والمقامات ، وتوفي سنة ست وثلاثين وخمسمائة بمدينة مراكش ، رحمه الله تعالى .

وبَرَّجانُ : بفتح الباء الموحدة وتشديد الراء وبعدها جيم وبعد الألف نون.

٥٩٥

السديد السلماسي

السديد محمد بن هبة الله بن عبد الله السلماسي الفقيه الشافعي ؛ كان إماماً في عصره[1] ، تولى الإعادة بالمدرسة النظامية ببغداد ، وأتقن عدة فنون، وهو الذي شهر طريقة الشريف بالعراق، قيل إنه كان يذكر طريقة الشريف و « الوسيط » للغزالي و « المستصفى » من غير مراجعة كتاب. قصده الناس من البلاد، واشتغلوا عليه وانتفعوا به ، وخرجوا علماء مدرسين مصنفين ، ومن جملتهم الشيخان الإمامان : عماد الدين محمد ، وكمال الدين موسى ولدا يونس – وسيأتي ذكرهما إن شاء الله تعالى – والشيخ شرف الدين أبو المظفر محمد بن علوان بن مهاجر ، وغيرهم من الأفاضل . وكان مسدداً في الفُتْيا ؛ وتوفي ببغداد في شعبان سنة أربع وسبعين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى .

والسَّلَماسي : بفتح السين المهملة واللام والميم وبعد الألف سين ثانية ، هذه النسبة إلى سَلَماس ، وهي مدينة من بلاد أذربيجان، خرج منها جماعة مشاهير.

---

٥٩٥ – ترجمته في طبقات السبكي ٤ : ١٩٥ ، ولم ترد هذه الترجمة في المختار . ومن هنا يبدأ الاعتماد على نسخة منشستر ورمزها « من » .

١ ن : كان أمام عصره .